

التغرب في طلب العلم

إن التغرب في طلب العلم هو من العوامل الكبرى في ارتقاء أمم الأرض سواء الاسلام في أزهر توارىخه الماضية أو أوربا أو غيرها، فذلك حقيقة بديهية لا يكلفنا الفكر العام اقامة برهان عليها، وما سبب القصور النازل بالأمم التي كانت متيقظة واصبحت نائمة سوى اكتشافها بما عندها وعدم طموحها لما عسى أن يكون غاب عنها.

لكننا لم نسمع قط بأمة ارسلت ابناءها لطلب العلوم الابتدائية أو الثانوية الا اذا كانت متبربرة أو زنجية خالية من كل علم وكل تهذيب لا توجد عندها مدارس ابتدائية ولا ثانوية، أما من كان يوجد لديه مدارس ابتدائية وثانوية كالمغرب والحمد لله، فهذا من العبث وقلة الاكثرات بالبنين ولا بالدين ان يرسلوا لتلقي العلوم الابتدائية أو الثانوية خارج القطر في أوربا أو الشام أو غيرها، ولا شك أن البنين يكونون في سن لا يناسب الغربية فيضروا ذلك بهم تعليمياً وتهذيباً وينطبعون من الصغر بطابع اجني ويشبون على الاخلاق التي هي بعيدة عن اخلاق وطنهم وبثنتهم، ولا سيما بعثهم لاروپا في ذلك السن وهم لم يتمرنوا على الاخلاق العربية والعقائد الاسلامية فتضيع عليهم اخلاقهم ويسلب منهم معتقدهم ويخرجون لاهم اوروبيون ولا مسلمون.

وانا نعلم ان السبب الحامل للآباء على تغريب أبنائهم وقطع أكبادهم بأيديهم هو عاطفة الطموح الى المعالي وعاطفة

حب النعم للاولاد كي يكون لهم مستقبل زاهر، ولكننا لو فحصنا عن هذه العاطفة لما وجدناها نشأت الا عن تقليد لمن فعلوا ذلك بابنائهم حين بلغوا سن الرشد وما بعثوهم الا لتلقي علوم عالية لا توجد مدارسها في المغرب أو بعثوهم وهم صغار ولكن حين لم يكن بالمغرب مدرسة اصلا والضرورة لها احكام، على أننا رأيناهم رجعوا أسوأ حالا مما ذهبوا وما ضيعوه أكثر مما رجعوا.

فان قال قائل ان المدارس الثانوية والابتدائية اضحت الآن غير كافية، فالجواب ان المغاربة ينبغي لهم ان لا ينظروا الى مصالحهم الشخصية وأن لا يقصر كل مغربي نظره على نفسه وقدرته على الانفاق على ولده، فذلك من ضعف العاطفة الوطنية والدينية معاً ومن سقوط المهمة ان يكون المغاربة عالة على الخارج حتى في العلوم الابتدائية والثانوية، ومن الدناءة ان يقوم الرجل بنفقة ولده التي لا تكلفه قليلا ولا يلتفت للمئين أو الآلاف من أهل وطنه ودينه الذين لم يجدوا مدارس تؤويهم، فالعاطفة الحقيقية أن يؤلف المغاربة جمعيات علمية محضة غير مشوبة بشيء آخر تقوم بتعليم الابناء الذين لم تجد لهم الحكومة مقدرة على التعليم، فيكون الاغنياء ينفقون على أولادهم ما كانوا سينفقونه عليهم في الغربية ويقومون بتعليم أولادهم وأولاد الفقراء ممّا بالقدر الذي كان يمكن ان ينفقوه على أولادهم فقط وما ينفق على مائة في الخارج ينفق على ألف في المغرب، فليست هناك دولة تقوم بالتعليم العام وحدها بل لا بد من معونة الامة، فكم توجد من جمعيات للتعليم خارجة عن الحكومة في أوروبا فرنسا وغيرها وفي مصر وتونس والجزائر ايضاً، فعدد الاولاد الذين

انه يوجب علينا أن نحفظ عقائد أولادنا و اخلاقهم ، ومن فوائد ذلك أن ينفق مالنا في ارضنا فيعود علينا ولا نخرجه لغيرنا . فالله الله في أولادكم وأمتكم وأمانتكم .
(ش)

المجلة - وصلنا المقال أعلاه بدون امضاء ومع ذلك لم نتردد في نشره خدمة لمبدئ حرية الفكر وتشجيعا على مبادلة الآراء واعتناء بالكاتب الذي يظهر من مقاله انه ذو ثقافة عالية ومعرفة واطلاع .

ونحن لسنا على رأيه في كل ما قال ولا ضده في كل شيء .
نعم انه من العيب بالبنين أن يرسلوا الى الخارج لتلقي العلوم الابتدائية والثانوية - ونزيد حتى العالية - اذا كانت كل ذلك في بلادهم ، ولاكن هل في المغرب تعليم ؟ وهنا فيما نظن أصل الخلاف بيننا وبين مراسلنا المفضل . ففي المغرب مدارس ولاكنها قليلة وفي المغرب تعليم ولاكنه سقيم ، وما دامت الحالة على ما هي عليه الآن فانا نظن ان صالح الوطن هو في بعث الاولاد الى الخارج رغم ما في ذلك من الضرر والعاقلة من اختار أخف الضررين .

أما ما ذكره للكاتب من ان العقائد الاسلامية والقومية تضع في أوروبا فان أولادنا اليوم على خلاف ذلك بل هم في الخارج قدوة لبعثات أخرى في المحافظة على الاسلام والوطن ، وأكبر شاهد على ذلك « جمعية طلبة شمال افريقيا المسلمين بباريس » .

وأما خوفه من تفرق وحدة البلاد لاختلاف الثقافة فنحن من ذلك أكثر خوفاً منه ، ولاكن الخطر مع الاسف حتى بين طهرانينا اذ أن برامج التعليم بالمغرب لا زالت الى الآن لم توحده .

وأما اشارته الى أن الطلبة يرجعون وهم يميلون الى سياسة البلاد التي آوتهم وعلمتهم فان طلبتنا - الا القليل - يختارون فرنسا ، واذا كانت من نتيجة مكثهم بها تنمية محبتها في قلوبهم فذلك ما نتمناه ونشجع عليه .

هذا وانا على رأي الكاتب تماماً في ضرورة تأليف جمعيات لتأسيس المدارس وطالما رجوانه من رجالنا العاملين .

يتعلمون على نفقة الحكومة في مصر هو بعض من كل ، وهناك جمعيات وافراد يقومون بنفقة مدارس مثل مدارس الحكومة أو أرقى ولا يموت غني من أغنياء أوروبا واميركا الا ويوصي بمال عظيم للتعليم ، فالواجب الوطني والديني يقضي على كل غني أو متوسط ان يتبرع بقدر من المال للتعليم لتردهي البلاد وتتقدم ويظهر فيها الرقي الفكري الحقيقي الذي هو الحياة الحقة فما ينفقه كل فرد وحده على ولد له أو ولدين يمكن لو ضم الى ما ينفقه رجلان أو ثلاثة مثله لقام بمدرسة مجهزة باحدث جهاز .

والذي يعوزنا هو تفرق جامعتنا لفساد اخلاقنا الذي ادى الى انحلال روابطنا وضياع ثقة بعضنا ببعض ، وكل رجل أرسل أولاده خارج القطر في سن التعليم الابتدائي أو الثانوي فذلك دليل على أنه ممن وصفنا ويجب عليه أن يرجع لجادة الصواب ويسعى في الخير له ولابناء جنسه ولا يكون ممن يطلب السلامة لنفسه ولو غرق جنسه .

واعلموا أن هناك خطراً على البلاد في تغريب الابناء الى بلاد مختلفة فكل واحد يأتي من بلد غريبته باقبح مما فيها غالباً ، وما جاء البلاء لتركيا الا من بعثات اورپا المختلفة فكل بعثة جاءت بما في بلاد تغريبها ومالت لسياستها فكان ذلك تفرقاً وتبديداً حيث عاد بارواح ومعتقدات متنافرة و اخلاق غير ملتزمة فصاروا شيعاً واصبح كل فريق يميل للدولة التي تربي بأدابها وتخلق بأخلاقها فصعب التفاهم بين الاحزاب واستحال الائتلاف على مبادئ واحدة على ان الاغنياء او الفوا جمعية للتعليم واصبح التعليم في بلادنا وعلى لغتنا ومبادئنا فن أفضل ما نجنيه أن تكون التربية واحدة والعقائد متحدة واللغة كذلك والاسلام لا شك